٦- إهمال التربية النفسية

أهمية التربية النفسية:

«يعتبر البناء النفسي والعاطفي للطفل من أكثر الأمور أهمية وحساسية في حياة الطفل، ذلك لأن العاطفة تحتل مساحة كبيرة في نفس الطفل، فإن أخذها شكل متوازن كان إنسانًا بكل المعاني السوية، وإن أخذها بغير ذلك بالزيادة أو النقص تشكلت لديه عقد لا تحمد عقباها»[(١)].

«الهدف من هذه التربية تكوين شخصية الولد وتكاملها واتزانها... حتى يستطيع إذا بلغ سن التكليف أن يقوم بالواجبات المكلف بها على أحسن وجه وأنبل معنى»[(٢)].

وسنستعرض المشكلة على أربع محاور هم الأهم:

١- التشجيع. ٢- الخلافات الزوجية.

٣- الإشباع العاطفي. ٤- الإقناع.

(١) «بناء مستقبل الأمة» شريف عبد العزيز الزهيري ص[٦٢].

(٢) «تربية الأولاد في الإسلام» عبد الله ناصر علوان ص[٢٢٥].

obeikandl.com

١- التشجيع:

انعدام التشجيع خطأ جسيم في تربية الأبناء، فالتشجيع مثله كمثل الوقود للسيارة، لا تسير إلا به، كذلك الأبناء التشجيع بالنسبة لهم كالوقود، يعطيهم حافز على إخراج أفضل ما يحوون من طاقات، ويعطيها إستمرارية.

وهذه أمثلة واقعية من واقع الحياة على انعدام التشجيع:

١- انعدام التشجيع في حين الإتيان بالطاعات عند فعل الصلوات الخمس أو عندما يطيع أمه أو أباه في أوامرهم، تجد ردًا جافًا مليئا بالإحباط مثل «هذا واجب عليك»، «ما أتيت بجديد» في حين يتلهف الطفل لعبارة ثناء تروي ظمأ نفسيته.

٢- التوبيخ الزائد الذي يحدث عند التقصير في الفضائل مثل التقصير في الحضور في المسجد أو، وتوجيه التهم له مثل: «ستظل دائمًا على حالك هذا»، «أنت سبب نزع البركة من البيت»، فالتربية بلا شك تحتاج الى بعض العقاب والتوبيخ لضبط الاعوجاج، ولكن ما نقصده في هذا العنصر هو زيادة التوبيخ أو تكراره لدرجة إصابة الإبن بالوصمة، فلا يصلح معه توبيخ أو عقاب.

فتعال نطالع حال مؤدب البشرية وحال من جاء بعده في أمر التشجيع، لنعرف ما نحن عليه من خطأ ونحاول تقويمه.

الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مؤدب البشرية»:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان الرجل في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رأى رؤيا قصَّها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكنت غلامًا شابًّا، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر وإذا لها قرنان وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار. قال: فلقينا ملك آخر فقال لي: لم ترع. فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**» فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلا[1].

فالشاهد هنا هو تشجيع رسول الله لعبد الله بن عمر، فبهذا المدح نقله من النوم إلى اليقظة وأثمر عن استقامته.

(١) «صحيح البخاري» [١١٢١]، «صحيح مسلم» [٢٤٧٩].

عمر الفاروق:

فعن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟**» فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: فقال: «هِيَ النَّخْلَةُ» قال: فذكرت ذلك لعمر، قال: لأن تكون قلت: هي النخلة، أحب إليَّ من كذا وكذا[(١)].

فتأمل موقف سيدنا عمر في تشجيع ابنه بزرع الثقة في نفسه، ما قال له: كيف تجرؤ أن تنطق بها؟! بالطبع لا زلت صغيرًا فلا يمكنك أن تقول؟! ففي هذا إثبات أن التشجيع يزيد الثقة بالنفس عند الأبناء.

فالثناء والتحفيز له أثر عظيم في استنهاض الهمم وزيادة الإنجاز؛ فلقد ذكر الدكتور محمد إسماعيل في محاضرة باسم التشجيع ودوره في التربية أن «شخصًا يدعى الدكتور هنري بوذرد كان يعمل مدرسًا في إحدى المدارس في (نيوچيرسي)، فاخترع جهازًا لقياس الإعياء والتعب، وكان الأطفال هم موضع الاختبار، وعندما

(١) «صحيح مسلم» [٢٨١١].

كانوا يتلقون كلمات الثناء والإعجاب والتشجيع كان يظهر الجهاز ارتفاعًا مفاجئًا يعبر بوجود طاقة إضافية وكانت طاقتهم تزداد بمجرد أن يسمعوا هذه الكلمات، وعندما كانوا يتعرضون للنقد واللوم والتوبيخ كانت تندفع طاقاتهم الجسمانية إلى الهبوط بصورة مفاجئة».

فأعرف من أبناء الملتزمين من كان معرضًا عن طريق الالتزام وهداه الله، وذلك لأن والدايه كانا يشجعانه ويثنيان عليه «يا خسارة إمكانياتك»، «أنت حقًا مبدع فاستغل قدراتك في الدين».

قالوا عن التشجيع:

ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود، فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه.. فإن عاد ثانيًا فينبغي أن يعاتب سرًا ويعظم الأمر فيه ويقال له: إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا»[1].

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٩٧).

«فحين نشجع طفلًا على الإقدام على عمل يحبه، فإنه ينظر إلى تشجيعنا على أنه تعاطف معه؛ لأننا ساعدناه على تحقيق أمنية من أمانيه، ثم إن التشجيع على عمل من الأعمال يتضمن الاعتراف على نحو خفي بكفاءة الابن واقتداره على النجاح في العمل الذي شجعناه عليه وفي هذا مؤازرة كبيرة له، والحقيقة: أن للتشجيع دورًا فاعلًا ومؤثرًا في تمتع الأمم بعدد وافر من الرجال العظماء، ولهذا فإن التشجيع يشكل مقياسًا من مقاييس التحضر، فالمجتمعات كلما تحضرت أكثر، قدرت المواهب أكثر»[1].

فإذا رأيت من ولدك مواظبة على الصلاة وارتباط بالله أكثر فعليك بالتشجيع، فهذا دافع للمواظبة والارتقاء به، فالتشجيع مثل الملاط «الأسمنت»؛ فكلما وضع ابنك حجرة ثبتها بالملاط، ليقوى البناء ويعلى.

ولكن قبل طي هذه الصفحة يجب وضع الضوابط ولفت النظر إلى بعض الإشارات في عملية التشجيع.

(١) «القواعد العشر» عبد الكريم بكار ص[٨٩].

١- أن يكون صادقًا بدون مبالغة أو كذب؛ فإن الطفل يكتشف ذلك.

٢- عليك بمدح السلوك لا بمدح الشخص نفسه، كذلك في توجيه النقد مثلًا: «إذا أنجز الطفل في حفظه في القرآن».

فقل: أداؤك في الحفظ قد تحسن.. ما شاء الله.

ولا تقل: أنت أحسن شخص في الدنيا، لا يوجد أحسن منك في هذا الكون؛ فهذا يزرع الغرور في نفس الشخص.

مثلًا: «إذا تكاسل الابن في حفظه للقرآن».

فقل: أداؤك في الحفظ غير جيد في هذه الفترة، يجب عليك أن ترجع لمستواك.

ولا تقل: أنت دائمًا كسول عن حفظك؛ هذا يزرع الإحباط في نفسية الشخص.

٣- الحاجة إلى معرفة وحاجة كل مرحلة فالتشجيع في الطفولة يختلف عن المراهقة شكلًا ومضمونًا.

وبعد، لا يبقى لنا سوى تحذير نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**»[1].

٢- الإشباع العاطفي:

إنها العاطفة... تلك الأداة المهملة من أكثر الآباء والأمهات، بالرغم أنها من أقوى وأفضل الأساليب التربوية للتأثير على الأبناء وإن شئت قل على جميع الناس.

نعم أخي، إنها التربية بالحب التي تجعل بين الآباء والأبناء الجسور المتواصلة، وبإهمالها تبعد المسافات وتشق الأخاديد، لذا نجد اهتمامًا كبيرًا من المتخصصين في التربية والعلماء والدعاة بإنشاء قاعدة نفسية عند الأبناء يبنيها الآباء من الحب.

قالوا عن العاطفة:

«يولد الطفل بخطين باهتين متقابلين، أحدهما يتجه إلى الحب، والآخر إلى الكره، كلاهما فطري، وكلاهما ضروري في حياة الإنسان... لأن كل إنسان ينبغي أن يحب ويكره،... وحين يترك

(١) «صحيح مسلم» [٢٥٦٤].

الإنسان بغير توجيه فهو عرضة لنوع معين من الاختلال في هذين الخطين.

والذي ينشئ التوازن، ويعيده إذا اختل هو هذا الحب الذي يضفيه الوالدان والأم خاصة على ذلك الطفل الوليد، بالقدر المضبوط الذي يحتاج إليه بلا زيادة أو نقصان... فهناك نتائج لفقدان هذا الحب كلها سيئة على الإطلاق، وأبرزها أن ينمو خط الكره دون أن ينمو خط الحب أو بأكثر منه»[1].

«العاطفة تطلق على تلك المشاعر المتدفقة السيالة التي تدفع الإنسان لاتخاذ مواقف من القبول والرفض، أو الحب أو الكره، تطلق على الحاسة التي تتوقد في نفس صاحبها لقبول هذا العمل أو رفضه»[2].

«إن الذي يبذر الحب في قلوب أبنائه يحوِّلهم إلى جنود يحرسونه، وعمال يخدمونه، نعم للحب كل هذا السحر التربوي؛ لأن الذي يحب أحدًا يحرص الحرص كله على أن يسعده، ويكون على استعداد لأن

(١) «منهج التربية الإسلامية» أ. محمد قطب.

(٢) «العاطفة بين الإهمال والإغراق» د. محمد الدويش.

يبذل له كل ما يستطيع.. إن الدنيا كلها تختزل في شخص المحبوب فيصبح إرضاؤه إرضاء للدنيا كلها، وإغضابه ومخاصمته وكأنه إغضاب ومخاصمة الدنيا كلها...!!

وهذا كله يسهل عملية التربية.

لن تكون نصائح الأب والمربي مجرد «كلام» جاف وثقيل، ينتهي أثره بالانتهاء من ترديده، وإنما يصبح وكأنه «رغبات» للأبناء أنفسهم تجيء على ألسنة أولياء الأمور... ولأن كل من الأب والمربي يتحول في هذا المناخ إلى «محبوب» سيحرص الابن دائمًا على أن يفعل ما يسعد محبوبه ويبتعد عن كل ما يمكن أن يغضبه»[1].

فالعاطفة تحتل مساحة كبيرة في قلوب الأبناء، فلو لعبنا على هذه الوتيرة لقضي الأمر في أمور كثيرة، فحينما تملأ القلب برصيد الحب وحينها تتحكم في كل شيء لأن القلب هو الملك والأعضاء هم الجنود.

وانظر إلى مؤدب ومعلم البشرية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما أقر هذه الحقيقة ألا وهي «املك القلب أولًا».

(١) «اللمسة الإنسانية» د. محمد بدري.

فعن معاذ بن جبل أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ بيده، وقال: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّك**»، فقال: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[(١)].

فتأمل إلى تصرف رسول الله.

١- البدء بمسك يده.

٢- قول يا معاذ إني لأحبك، كانت بمثابة الرصيد الذي يملأ به القلب ليوجد بعدها.

٣- اختصار التوجيه وعدم الإطالة.

إذًا فالطريق للتوجيه لابد أن يكون بالرفق والحب «فما لم يشعر المتربي أن مربيه يحبه، ويحب له الخير، فلن يقبل منه ولو أيقن أن عنده الخير كله، بل لو أيقن أنه لن يجد الخير إلا عنده!! وأي خير يمكن أن يتم بغير حب»[(٢)].

(١) «صحيح أبي داود» للألباني [١٣٦٢].

(٢) «منهج التربية الإسلامية» محمد قطب ص[٢٨١].

obeikandl.com

حتى يكتمل البناء:

فهذه عدة توجيهات للوالدين للمساعدة في ضبط وتوازن الإشباع العاطفي وأيضًا تصحيح لبعض المفاهيم:

١- لابد أن نفهم أن الوالدين مفطوران على حب الأبناء ولكن الأبناء لم يفطروا على حب الوالدين؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت:٨] فوصى الأبناء بالوالدين ولم يوص الآباء بالأبناء لأنهم مفطورين على حبهم، فأنت الذي تزرع فيهم الحب والكره.

٢- كما فهمنا أن الإشباع العاطفي هو مسؤولية الوالدين، فهم المسؤولون أيضًا عن انصراف العاطفة عند أبناءهم وبحثهم عن إشباعها في مواطن أخرى «فكثير من الآباء ينسون إيداع أرصدة عند أبناءهم في فترة المراهقة ويهتمون أكثر بتوجيههم وبإعطاء الأوامر لهم... وبالتالي تنخفض أرصدة البنك بين المراهق وأبيه بصورة كبيرة جدًّا، ولا عجب أن يسعى المراهق بعد ذلك إلى أن يكوِّن أرصدة أخرى مع أصدقاء السوء، مع من يحترمونه ويقدرونه من وجهة نظره»[(١)].

(١) «سحر الاتصال» محمد العطار ص[١٩٠].

٣- بعض الآباء يهمل جانب الحب والعاطفة حينما يكبر الأبناء وهذا من أكبر الأخطاء لأن ذلك من أسباب انحراف العاطفة فمن اللازم أن نعطيه في الكبر كما كنا نعطيه في الصغر بقدر ما يحتاج.

٤- البعض من الآباء يكتفون بحب أبنائهم من غير إظهار هذا الحب لهم أو إظهاره بصورة خاطئة بالمال أو بالمشتريات مثلًا، فهذه بعض النصائح لإظهار حبك لأولادك؛ لكي يكون هذا الحب في زيادة مستمرة:

(أ) قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ**»(١)، لقد قال رسول الله: «**أخاه**» فما بالك بالابن الذي هو من صلبك، فلابد أن تصارح ابنك أنك تحبه ولا تجعله يستنتج ذلك ولو أن تكتبها له في رسالة، فكما كان يفعل رسول الله فافعل، فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضم الحسن والحسين ويقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا**»(٢) فمنذ متى ما قلت لأولادك وصرحت لهم بالحب؟!

(١) «سنن أبي داود» [٥١٢٤].

(٢) «صحيح الجامع» للألباني [٧٠٠٣].

(ب) هل جربت مرة أن تأتي بهدية لابنك؟ نعم؛ إنها الهدية التي تحمل قيم ومعاني الحب كما وصانا رسولنا الكريم: «**تَهَادُوا تَحَابُّوا**»[(١)].

(جـ) وماله الأثر في زيادة حب أبنائك لك وإظهار هذا الحب لهم ألا وهو تقبيلهم واحتضانهم، وفي الحديث الذي اعترض فيه أحد الأعراب على تقبيل الرسول لأبنائه فقال له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**»[(٢)] وحين ذكر له الأقرع بن حابس أن له عشرة من الولد ما قبَّل منهم أحدًا، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ**»[(٣)]، فالبعض يبخلون بكل شيء حتى بمشاعرهم على أولادهم، ظنًا منهم أن ذلك صواب لتعليمهم الجدية والصلابة، والحق أنهم يقتلون فيهم كل معاني الحب والرحمة»[(٤)].

---

(١) «صحيح الأدب المفرد» للألباني (٤٦٣/ ٥٩٤).

(٢) «صحيح البخاري» [٥٩٩٨].

(٣) «صحيح البخاري» [٥٩٩٧]، «صحيح مسلم» [٢٣١٨].

(٤) «بناء مستقبل الأمة» شريف الزهيري ص[٦٣].

(د) العدالة بين الأولاد شيء أساسي في كل شيء حتى القبلة؛ فعن أنس قال: كان مع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رجل فجاء ابن له فقبَّله وأجلسه على فخذه، ثم جاءت بنت له فأجلسها إلى جنبه، فقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فَهَلاَّ عَدَلْتَ بَيْنَهُما**»[1]، فيجب أن تتحرى العدالة بين أبناءك في كل شيء؛ لكي لا تزرع في نفسه الكره لأخيه بل ولك أيضًا.

ليس لي بعد إلهي مشتكى إليك
وأخي في الفضل مثلي وكلانا في يديك
لا تفضله عليَّ بالحبا في ناظريك
إن منحت العين كحلًا هاجت الأخرى عليك
إنما ابناك كعينيك فكحِّل مقلتيك

(هـ) جرب مرة أن تصطحبه في سفر أو تخرج معه خصيصا بمفردك معه فهذا يفتح المجال للحوار بين الآباء والأبناء، فكم من ابن ظل حبيس مشكلته وأزمته فخلق فرص الحوار تزيد المحبة.

(١) «السلسلة الصحيحة» للألباني [٣٠٩٨].

(ز) مداعبة الأبناء ومماز حتهم لما في ذلك من إدخال السرور على الأبناء؛ ففي الحديث أنه كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يداعب الحسن والحسين ويحملهما على ظهره وعلى بطنه.

(ط) اتقن لغة المشاعر «فكلماتنا التي نلقيها على أبناءنا لا تكتسب تأثيرها من ألفاظها التي تصاغ منها بقدر ما تكتسب ذلك التأثير من نسمات الحب التي تهب منها على قلوب الأبناء»[(١)].

«إن من الآباء من إذا سمعته يقول لابنه «من فضلك» أو «شكرًا لك» أحسست أنه يخاطب جمادًا، لخلو صوته من أي نبرة تدل على المودة..، فإن هذه الكلمات لو استعملت، وكان فيها نفحة من الحب لأفاضت على حياة أبناءنا البِشر والسعادة، ولدفتهم بالحب والرحمة إلى الانقياد لما نريد»[(٢)].

وفي نهاية هذا العنصر نود أن تكون أدركت قيمت هذا السلاح في التوجيه؛ لأن من الآباء من يبخل على أبناءه حتى بالبسمة، واحذر

(١) «اللمسة الإنسانية» د. محمد بدري ص[١٢٧].

(٢) «اللمسة الإنسانية» د. محمد بدري ص(١٤١، ١٤٢) بتصرف.

أن تكون كالضيف الثقيل في البيت يتمنون خروجك لما يحدث لهم من تعكير لصفو حياتهم وتعاملك الجاف.

«إن القيادة الحقيقية للأبناء هي قيادة القلوب لا قيادة الأبدان...، قيادة الرضا لا قيادة الضغط...، قيادة الحب لا قيادة الإرهاب...، ولن نحصل على أفضل ما عند أبناءنا حتى نستميل قلوبهم فيحبونا، فإن أحبونا أطاعونا... تسألني لماذا؟ لأن العقل لا يسمع... حتى يسمع القلب...»[1].

٥- لابد من التوازن فلا إفراط ولا تفريط فهنا نطالب أن نعطي الجرعة المناسبة لا نقص فيها ولا زيادة، والتحذير هنا من الزيادة التي تؤدي للتدليل؛ فالزيادة مفسدة كما يكون النقص مفسدة و«الزيادة تؤدي إلى التدليل، والتدليل يؤدي رخاوة الكيان النفسي للطفل فتى كان أو فتاة والرخاوة عيب في البناء تجعله غير متماسك، وغير صالح للاعتماد عليه في مهمات الأمور، وظروف الحياة لا تتركنا لأنفسنا ولا ترحم رخاوتنا:

(١) «اللمسة الإنسانية» ص[١٢٩].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الانشقاق:٦].

﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد: ٤].

والمدللون ذو الطبائع الرخوة لا يقدرون على الكدح، فيتعبون في حياتهم ويتعبون»[(١)].

٣- الخلافات الزوجية

إلى أبي وأمي:

هذه رسالة من ابنكم الجريح الذي تسببتم في جرحه، لم أعاني من جرح في جسدي ولكن أعاني من جرح آخر في أعماق نفسي.

- إلى متى يا أبت ستظل هذه المشاجرات بينك وبين أمي التي لا تكاد أن تنطفئ فتشتعل أخرى؟!

- متى سأشعر بالأمان في بيتنا الذي هو على شفا حفرة من التفكك؟!، إلى متى سأظل غارقًا في بحار الهموم وأنا مع أصحابي، وأحاول أن أدفع البسمات دفعًا؟!

(١) «منهج التربية الإسلامية» ص[٣٦٧].

- كم فكرت في الهروب كثيرًا من مرارة الأجواء في البيت؟! وكم أكون سعيدًا عندما أبيت عند جدتي بعيدًا عن البيت؟!

- كم أثر في مشهد أخوتي كثيرًا وهم بين باكٍ ومهموم؟! لقد صدمتني أختي الصغيرة بسؤالها من براءتها: «هل أبي سوف يقتل أمي حقًا؟!» عندما سمعتك تقول لأمي: «سوف أقتلك».

- كم تبادر إلى نفسي الشعور بالذنب حين أراك تهدد أمي بالطلاق وتقول لها: «لولانا لكنت طلقتها!!» كم شعرت أن زملائي الأيتام في نعمة فهم لا يعيشون في مثل ما أعيش فيه!!

من ابنكم الجريح

تعتبر الحاجة إلى الأمن من أهم الحاجات النفسية التي يسعى الابن في إشباعها سواء كان في مرحلة الطفولة أو في المراهقة، والخلافات الزوجية أمام الأبناء من الأسباب الرئيسة لضياع عنصر الأمان عند الأبناء وزيادة القلق والاضطراب النفسي.

ولبيان علاقة هذا العنصر بموضوعنا يجب أن نعرف أن الخلافات الزوجية سببًا في انحراف الأبناء وفسادهم لأنها من

العوامل الأساسية التي تؤدي إلى انصراف الولد، احتدام النزاع، واستمرار الشقاق ما بين الأب والأم في معظم ساعات الاجتماع واللقاء... فالولد حين يرى ظاهرة الخصومة أمام ناظريه صباح مساء، سيكون الهروب من جو البيت القاتم، والبحث عن رفاق يقضي معهم كل وقته ويصرف في مخالطتهم معظم فراغه النتيجة المتوقعة، فهؤلاء إن كانوا قرناء سوء، ورفقاء شر، فإنه سيدرج معهم على الانحراف ويتدنى بهم إلى أرذل الأخلاق وأقبح العادات بل إن انحرافه سيتأكد»[1].

فتخيل طفلًا يرى أباه وأمه كل منهما يفيض أمام الآخر بآلامه وأحزانه منه، بل وأضف توجيه الاتهامات والسباب والدعاء عليه بالهلاك، مع ما يكون من انهيار الأم في البكاء... فماذا تنتظر من طفل يسمع كل هذا العذاب الذي هو أصعب عليه من أقوى فيلم رعب تم إنتاجه؟!

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» عبد الله ناصح علوان ص[٨٨]، باختصار وتصرف.

«يعتبر الغرب تشاجر الأبوين أمام الطفل نوعًا من الإساءة تستدعي القبض عليهما، وإيداعهما في المصحة النفسية للتأديب والتهذيب والإصلاح الحقيقي، وإذا تكرر هذا السلوك أخذ منهما الطفل ليربى في مؤسسة تابعة للدولة.. انظر كيف انتبهوا إلى هذا الموضوع، حتى وصل بهم الأمر إلى اعتبار أن رفع صوت الأبوين أمام الطفل يعتبر انتهاكًا لحق الطفل في الاستقرار النفسي»[(١)].

أثر الخلافات الزوجية على الأبناء[(٢)]:

١- تكوين عقدة ضد الأزواج والزوجات، وخاصة عند البنات.

٢- تأثر المستوى الدراسي للأبناء، وذلك بسبب تشتت الفكر.

٣- بقاء الأبناء الكبار خارج المنزل لأطول وقت ممكن... وماذا تنتظر من الخارج أن يؤدي بولدك؟!

٤- تكوين استعداد نفسي لانحراف الأبناء في المستقبل.

٥- تحكيم الأبناء في الخلافات مما يرهقهم ذهنيًا.

---

(١) محاضرة للدكتور محمد إسماعيل: «محو الأمية التربوية».

(٢) «موسوعة التربية العملية للطفل» هداية الله أحمد شاش، ص[١١٦] بتصرف.

٦- شعور الأبناء بالذنب؛ كأن تقول الأم: «لولا وجودكم لما احتملت العيش مع أبيكم».

٧- اهتزاز صورة الوالدين في عيون الأبناء وضعف الثقة بهما.

٨- خوف الأبناء على مصير حياتهم.

٩- التدليل الزائد للأبناء من أحد الأبوين بغرض إغاظة الآخر وتكوين جبهات متضادة بين الأم والأب تقوم على جذب كل منهما الأبناء في صفه.

١٠- اختلال ميزان التربية، إذا انفصل الزوجان أو طرد أحدهما من المنزل.

ولكن: هل يوجد أزواج بلا خلاف؟!

أتفق معك أيها السائل أنه لا يوجد أزواج بلا خلاف، ولكن هناك فنونا لإدارة المشكلات والخلافات الزوجية؛ فمن الممكن أن نختلف كأزواج ولكن لا يتحطم الأبناء، وأن يكون اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية، فما هو التصرف السليم حين الاختلاف[1]؟

(١) «موسوعة التربية العملية للطفل» هداية الله أحمد شاش، ص[١١٨] بتصرف.

obeikandl.com

١- عدم التعرض لنقاط الخلاف أمام الأبناء.

٢- إن حدث وعلموا بالخلاف نخبرهم أن الخلاف بين أي شخصين أمر طبيعي.

٣- عدم إطالة فترة الخلاف مهما كانت الأسباب.

٤- محاولة إخفاء آثار الخلاف وممارسة الوالدين للحياة كالمعتاد.

٥- محاولة صرف نظر الأبناء عن الخلاف بإشاعة جو المرح، أو الخروج للتنزه أو ممارسة أعمال جماعية.

٦- يجب عدم إظهار الخلاف عمليًا للأبناء؛ فلا يترك أحد الأبوين حجرة النوم لينام في حجرة أخرى، أو أن تبكي الأم أو تجلس صامتة.

٧- لابد من تجنب الإهانات تمامًا باللفظ؛ فتلك الإهانات تصيب الحالة العاطفية للطرف المهان بشكل عام بنوع من الشروخ يصعب إصلاحها، ناهيك عما يصل للطفل من مشاعر تدمر اطمئنانه.

٨- تجنب إصدار الهمهمات والغمغمات الساخطة المشمئزة، التي تنم عن الكراهية بلا صوت، فإن ذلك يثير شكوك الأبناء وقلقهم وتوقعهم للكوارث.

٩- لابد من إفهام الطفل أن الحب هو الأصل في علاقة والديه مع بعضهما، ويتجلى ذلك بالتعبير اللفظي عن هذه الرسالة، والعملي من خلال تعاملات الوالدين الهادئة والناضجة.

١٠- ينبغي ألا يسمع الأبناء أصوات الصراخ والغضب من خلف الباب المغلق بل يفضل أن تكون المناقشة بلا مؤثرات صوتية خلف الأبواب المغلقة.

ولا شك أن المرونة مطلوبة لحياة أكثر إشراقًا وصاحب مبادرة الحل والعلاج ليس الطرف الخاسر بأي حال من الأحوال؛ بل هو صاحب الفضل؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ**»[(١)].

«من البديهي أن البيئة المثالية لتربية الأبناء هي منزل يسوده الوئام في كنف أم وأب متفاهمين محبين لطفلهما.. ولكن المناخ الأسري يكون في بعض الأيام جيدًا، ثم يكون في أيام أخرى غير ذلك.. وهذا أمر طبيعي، والواجب على الوالدين محاولة زيادة

(١) «صحيح البخاري» [٦٠٧٧]، «صحيح مسلم» [٢٥٦٠].

الأيام المستقرة والسعيدة، والاستمتاع بوقت التواصل مع أولادك، كما أن الواجب على الوالدين حتى إذا اشتطا في الخصومة أن يمارس من ضبط النفس والحكمة ما هو فوق ما يحتمله البشر حفاظًا على مشاعر أبناءهما»[1].

٤- التربية بالإقناع:

أغلب حوار الآباء مع الأبناء مليئا بالأوامر والفروض، خاليًا من السببية والإقناع،، فليس من حق أبناءهم أن يعرفوا السبب أو يسألوا «لماذا؟!»، حتى صار لا فرق بينهم وبين الجنود.

وللأسف تجد من الملتزمين من ينتهج هذا النهج مع أبنائهم في أمور الشرع، فتجده لا يبين للولد حكم الشيء ولا دليله ولا النفع العائد من وراء التطبيق.

فأغلب الآباء والأمهات تصدر منهم أوامر جافة «قم صلِّ»، «لا تسمع الأغاني»، «لا تضيع وقتك»، فهل وضحت لابنك فضل الصلاة، أو أوضحت له حرمة الأغاني، أو أقنعته بأهمية الوقت لعدم تضييعه؟

(١) «اللمسة الإنسانية» د. محمد بدري ص[٥٨٨].

وللأسف تجد مغبة هذا الأسلوب واضحة على الأبناء، وأنه خلَّف الخبث في نفوس الأبناء، وخلَّف تفلتًا وتهربًا ما داموا بعيدين عن الرقابة، لأنه «لا يجوز فرض الأوامر فرضًا على الطفل دون اقتناع منه بأدائها؛ لأن ذلك يولد في نفسه كبتًا ويفسد شخصيته»[(١)].

أما الطفل الذي تربى بالإقناع فيكون عنده من المبادرة الذاتية لتجنب الحرام والخطأ، وستكون نفسه سوية فيغير نفسه ومن حوله، حتى وإن لم يكن هناك دافع من الوالدين «وجميل جدًّا أن يقتنع الطفل أو الشاب أو الإنسان الناضج بحكمة ما يفعل، فإن ذلك أيسر للتنفيذ القلبي وأرجى للثمرة من التنفيذ بغير اقتناع»[(٢)].

وقد أقر بها نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في خطابه لقومه وهم على عدم اقتناع بدعوته فقال لهم: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨].

التربية بالاقتناع منهج رباني:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ

(١) «منهج التربية الإسلامية» أ. محمد قطب [٣٥٦].

(٢) «منهج التربية الإسلامية» أ. محمد قطب [٣٦٠].

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١].

وقال أيضًا: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

بيَّن الله حرمة الخمر بالإقناع فقال:

١- رجس من عمل الشيطان.

٢- إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة.

٣- قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما.

التربية بالإقناع منهج الأنبياء والصالحين:

فقال يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عندما نصح يوسف: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾.

[يوسف: ٥]

فانظر إلى قوله:

١- لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدًا.

obeikandl.com

٢- إن الشيطان للإنسان عدوًا مبينًا.

ما قال له لا تقصص رؤياك على إخوتك واكتفى بالأمر.

وقد قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لابنه وهو يخبره بأمر الذبح: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

ما جاء إبراهيم فذبحه وهو نائم ولو فعل ما عليه ذنب، ولعلك أدركت أن الإقناع يكوِّن المبادرة الذاتية فما إن قال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ وزين أسلوبه وقال: ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ فجاءت المبادرة الذاتية من سيدنا إسماعيل ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾.

وها هو لقمان الحكيم وهو يعظ ابنه:

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ

﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾.

[لقمان:١٣-١٨]

ففي الآية الأولى وهو ينهاه عن الشرك بالله أقنعه بأن الشرك بالله ظلم عظيم.

والآية الثانية أمره بإقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر، فبين له أن ذلك من عزم الأمور.

والآية الثالثة حين يأمره بالتواضع فأقنعه بأن الله لا يحب كل مختال فخور.

وقد قال مربي البشرية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»(١).

ما اكتفى رسول الله بالأمر بالزواج فحسب؛ بل بيَّن فوائده لكي يُرغِب الشباب فيه فقال: «**فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**» بل وزين البناء ببيان العلاج لمن لم يقدر عليه وأمره بالصوم.

فأين نحن من آداب القرآن وسنة الرسول ومن قبله الأنبياء؟! والله تعالى قد أمرنا بأن نأخذ العبرة منهم فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف:١١١].

فلابد أن يسود الإقناع في توجيه الأبناء ولابد أن يعرف «لماذا الخطأ خطأ، ولماذا الصحيح صحيح... اللهم أن يعرف لماذا يتجنب الخطأ ولماذا يفعل الصحيح»(٢).

«فإن فرض الأوامر على الطفل دون اقتناع منه بأدائها يشعره بأن ذلك العمل عبء ثقيل عليه، فيحاول التهرب منه، وواجب

(١) «صحيح البخاري» [٥٠٦٦]، «صحيح مسلم» [١٤٠٠].
(٢) «موسوعة التربية العملية للطفل» هداية الله أحمد شاش ص[٣٨٦].

المربي هو محاولة احترام الطفل من خلال إقناعه بالأمر، كأن يبين للطفل فائدة قيامه بالعمل، ويحليه في عينيه وعليه ألا يوجه نواهيه إليه بطريقة استفزازية»[(١)].

فوائد التربية بالإقناع:

١ - أن تبني العقلية السببية لدى الطفل حيث نعوده منذ الصغر أن يربط بين الظواهر وأسبابها والنتائج ومقدماتها، وذلك يقوي لديه الرؤية المنطقية والمنهجية، ويساعده على النجاح في الحياة[(٢)].

٢- الحفاظ على كرامة الطفل؛ إذ أن الشرح ينطوي على اعتراف بأهمية الطفل، ونحن لا نريد أن نربي (إمعة) يتصرف كالتابع الذليل، وإنما نريد أن نربي رجلًا مستقل الشخصية، متميزة الكيان، يعمل ما يقتنع به ونحن حين نشرح للطفل مواقفنا وأسباب رفضنا لأمر يرغب القيام به فإننا نمنحه فرصة للدفاع عن رأيه والمجادلة عن وجهة نظره، وقد تكون صحيحة[(٣)].

(١) «موسوعة التربية العملية للطفل» هداية الله أحمد شاش ص[٣١٥].
(٢) «دليل التربية الأسرية» د. عبد الكريم بكار ص[١٤٤].
(٣) «دليل التربية الأسرية» د. عبد الكريم بكار ص[١٤٤].

٣- توخي المبادرة الذاتية عند الابن بدون رقابة عليه فتجده تلقائيًا يتجنب الخطأ ويفعل الصحيح.

إشارة تحذير:

فكما يجب علينا بيان الحكمة من الفعل لأبنائنا حتى يفعلو، يجب ألا يعلق الولد الأوامر والأفعال حتى يقتنع فهذا هو الإفساد بعينه، «وإلا فما العمل حين تكون الأرض كلها اجتمعت على أمر معين ولكن الطفل غير مقتنع بذلك، لضيق فهمه، هل سننتظر حين يكبر ويتسع فهمه؟!... إن الطبائع البشرية مختلفة فمن الأطفال من هو ضيق المدارك، وآخر واسع المدارك وذكي، وآخر متمرد على كل أمر، فهل يجب إقناع كل هؤلاء»[(١)].

فهناك أشياء في شريعتنا مثلًا لا تحتاج إلى إقناع؛ لأن طاعة الله ما هي إلا تسليم وإخبات ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:١٤٠].

(١) «بناء مستقبل الأمة» شريف الزهيري ص[١٤٢].

فالقصد هنا بيان حكمة الفعل في البداية فإن عاند وأظهر عدم الاقتناع فالواجب بعد خوض كل الأساليب المرغبة في الفعل بيان أن طاعة الله لا تحتاج إلى اقتناع؛ فهو أعلم بنا وربما يصلحنا ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

obeikandl.com